سلسلة الرسائل التربوية ...

مركز المشير للاستشارات التعليمية و التربوية

استغلال رمضان

كتبه : د. أحمد بن عبدالرحمن القاضي

إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين

ح أحمد بن عبدالرحمن القاضي ١٤٣٠ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
القاضي ، أحمد عبدالرحمن
استغلال رمضان . / أحمد عبدالرحمن القاضي .
- عنيزة ، ١٤٣٠هـ
٠٠ص ؛ ٠٠سم
ردمك : ٦_٤٥٩_٥٣_٩٩٦٠_٩٧٨
١- شهر رمضان ٢- الصوم أ. العنوان
ديوي ٢٥٢,٥٢ ١٤٣٠/٧٧٥٧
رقم الإيداع : ١٤٣٠/٧٧٥٧
ردمك : ٦_٤٥٩_٥٣_٩٩٦٠_٩٧٨

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ... أما بعد :

فإن من حكمة الله ورحمته ولطفه بعباده أن هيأ لهم مواسم للطاعات ، تنشرح فيها صدورهم لعمل الصالحات ، واغتنام الأوقات ، ووعدهم على ذلك جزيل الهبات ؛ (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ)(القصص:٦٨) ؛ فاختار من الناس محمداً ، ومن البقاع مكة والمدينة ، ومن الأيام يوم النحر ، ومن الليالي ليلة القدر ، ومن الأشهر شهر رمضان الذي أنزل فيه القرءان . وأودع الله في قلوب عباده المؤمنين شوقاً دفيناً لهذا الشهر ، فما أن يستدير العام حتى تخفق تلك القلوب لِمَقْدَمِه ، وتَتَشَوَّفُ لاستقباله ، كما يستقبل الضيف الحبيب الذي طال غيابه . وكأن المؤمن قد نَاء بحمل الأثقال من الخطايا والغفلات ، فما أن يهل الشهر ويحل إلا وقد ألقاها عن كاهله ، واطرح بين يدي ربه يتوب إليه ويستغفره ، ثم يقبل على قلبه يجلو صَدأه ، ويُميط الرَّان عنه ، حتى يعود صقيلاً مضيئاً ، مثل السراج يزهر . روى الإمام أحمد والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يبشر أصحابه ؛ يقول : (قد جاءكم شهر رمضان ، شهر مبارك ، كتب الله عليكم صيامه . تفتح فيه أبواب الجنان ، وتغلق فيه أبواب الجحيم ، وتغل فيه الشياطين . فيه ليلة خير من ألف شهر ، من حُرِمَ خيرها فقد حُرِمَ)وإسناده صحيح . قال ابن رجب ، رحمه الله : (قال بعض العلماء : هذا الحديث أصل في تهنئة الناس بعضهم بعضاً بشهر رمضان)لطائف المعارف : ٢٧٩ .

ورمضان في ضمير المؤمن موسم قربة وإخبات ، واستكثار من الأعمال الصالحات . وقد تعرض هذا الوعي الإيماني في السنوات الأخيرات لقدر من التشويه والانحراف ؛ فصار في حس بعض الناس موسماً للتسوق والتفنن في الأكلات والوجبات ، وعند آخرين مهرجاناً للأفلام والمسرحيات التي تَقِيءُ بها الفضائيات ، ويقترن عند طائفة بذكر النوم والكسل وترك الأعمال والواجبات !! وكل هذا وذاك باطل ما أنزل الله به من سلطان ، ولا كان من شأن أهل الإسلام ، وإنما طرأ على مجتمعاتهم في غيبة من العلم وغفلة من الذكر ، وهجمة من الذين يتبعون الشهوات . أنشد بعض السلف :

أتى رمضان مزرعة العباد	لتطهير القلوب من الفساد
فأدِّ حقوقه قولاً وفعلاً	و زادك فاتخذه للمعاد
فمن زرع الحبوب وما سقاها	تأوه نادماً يوم الحصاد

ولم يزل الصالحون يشبهون رمضان بالمزرعة ، وحلولَه بالموسم ، ومن شأن ذلك أن يستغل . قال ابن منظور : (استغلال المستغلات أخذ غلتها)لسان العرب:١١٠/١٠ .

ولا يتم هذا الاستغلال ، بشكل تام ، إلا بتحقق ثلاثة أمور :

الأول : التهيؤ الإيماني لاستقبال هذا الشهر ؛ بأن يورد المسلم على قلبه المؤثرات الإيمانية من المحبة ، والخوف ، والرجاء ، التي تؤهله لاغتنامه بالعمل الصالح .

الثاني : التخطيط الجيد للوقت ، ورسم برنامج يومي متوازن لتحقيق المقاصد المختلفة .

الثالث : العلم الشرعي ؛ بمحبوبات الله ومراضيه ، التي ينبغي السعي في تحصيلها في هذا الشهر . وقد اجتمعت في هذا الشهر الكريم أمهات العبادات . وفيما يلي فتحٌ لصوامع الغلال ، لأرباب الاستغلال ، علَّ الله أن

يوفقنا لملئها في هذا الشهر الكريم بالصالحات ، فنفرح بها : (يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا)(آل عمران:٣٠) .

أولاً : الصيام :

نص الله تعالى على الحكمة من فَرْضِيَّةِ الصيام بقوله : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾)(البقرة:١٨٣) . وبَيَّن نبيه صلى الله عليه وسلم مقصود الصيام بقوله : (من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل ، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه)رواه البخاري .

فالصوم الحق هو الذي يُحَلِّي صاحبه بالزينة الباطنة ، وهي التقوى ، والزينة الظاهرة ، وهي الأدب والسمت الحسن ، كما في الصحيحين ، من حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (قال الله تعالى : كل عمل ابن آدم له ؛ إلا الصوم ، فإنه لي وأنا أجزي به . والصيام جُنَّة ؛ فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ، ولا يصخب ، فإن سابه أحد أو قاتله ، فليقل : إني صائم . والذي نفس محمد بيده ، لخَلُوفُ فَم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك . للصائم فرحتان يفرحهما ؛ إذا أفطر فرح بفطره ، وإذا لقي ربه فرح بصومه) .

وهذا الصوم المنشود هو النابع من الإيمان والاحتساب ، لا من التقليد والعادة ، والمجاراة ، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة أيضاً ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من صام رمضان إيماناً واحتساباً ، غفر له ما تقدم من ذنبه) ؛ أي : إيماناً بالله وحقه عليه في الصوم ، واحتساباً لموعوده من الأجر والثواب .

ثانياً : القيام :

القيام قرين الصيام ، وعديله في الأجر ؛ ففي الحديث المتقدم : (ومن قام

رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه) . ورمضان مدرسة تربوية لاكتساب هذه الخصلة العظيمة ، التي هي شعار الصالحين ، الذين أثنى الله عليهم بقوله : (تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾)(السجدة:١٦ ، ١٧) . وهي صفة عباد الرحمن ، الذين قال فيهم : (وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾)(الفرقان:٦٤) .

وقد دأب المسلمون منذ زمن الخليفة الرشد عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، على قيام الليل جماعة خلف إمام واحد ، مُحْيِينَ بذلك سنة نبوية رمضانية ، قطعها النبي صلى الله عليه وسلم خشية أن تفرض على أمته ، ثم جددها أمير المؤمنين عمر ، لما زال المحذور ولم يزل المسلمون يصلونها ، ويسمونها صلاة التراويح . فينبغي للمؤمن أن يحافظ على القيام مع إمامه كل ليلة حتى تنقضي الصلاة ، لينا ل الثواب الموعود ، ففي حديث أبي ذر ، رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إنه من قام مع الإمام حتى ينصرف ، كتب له قيام ليلة)رواه أهل السنن بسند صحيح . وأن يصبر نفسه على ذلك طول الشهر ، ولا يخرم منه ليلة واحدة ، ليصدق عليه أنه قام رمضان ، لا بعض رمضان . وألا يكون همه البحث عن الأئمة النقارين ، أو التنقل بين المساجد كهيئة المتذوق .

ثالثاً : القرءان :

قال تعالى : (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ)(البقرة:١٨٥) . وقال تعالى : (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾)(القدر:١) . فرمضان أخص الشهور بالقرءان ، لأن فيه ابتداء تنزيله . ولهذا كان نبينا صلى الله عليه وسلم يخصه بمزيد العناية والمدارسة ؛ ففي حديث ابن عباس ، رضي الله عنهما : (وكان جبريل يلقاه في كل ليلة في

رمضان ، فيدارسه القرءان)متفق عليه . وعلى هذا السنن النبوي سار الموفقون من سلف هذه الأمة ، فكانوا يكثرون الختمات ؛ فكان أبو رجاء العطاردي يختم في كل عشر ، وكان قتادة يختم في كل سبع دوماً ، وفي رمضان في كل ثلاث ، وفي العشر كل ليلة . وكان الأسود النخعي يختم في كل ليلتين . قال ابن رجب : (وإنما ورد النهي عن قراءة القرءان في أقل من ثلاث ، على المداومة على ذلك . فأما في الأوقات الفاضلة ، كشهر رمضان ، خصوصاً الليالي التي يطلب فيها ليلة القدر ، أو في الأماكن المفضلة ، كَمَكَّةَ ، شرفها الله ، لمن دخلها من غير أهلها ، فيستحب الإكثار فيها من تلاوة القرءان ، اغتناماً للزمان والمكان) .

وإنه لمن دواعي الأسى أن يمر شهر رمضان ببعض المسلمين دون أن يختم ختمة واحدة ! فضلاً عن أن يشتغل بتدبره ، وتفسيره . ومما يعين على كثرة التلاوة أمور :

أحدها : أن يواظب الصائم على القعود في مصلاه بعد صلاة الصبح ، مشتغلاً بذكر الله وقراءة القرءان ، حتى ترتفع الشمس ، فيتمكن بذلك من قراءة جزئين من القرءان .

الثاني : أن يجتمع مع نفر من أصحابه على قراءة كتاب الله ، في بيت من بيوت الله .

الثالث : أن يحرص على التبكير إلى الصلوات الخمس ، فيقرأ ما كتب الله له بين الأذان والإقامة ، وبعد الفريضة .

رابعاً : الصدقة :

عن ابن عباس ، رضي الله عنهما ، قال : (كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرءان . وكان جبريل يلقاه في كل ليلة في رمضان ، فيدارسه

القرءان ، فلرسول الله صلى الله عليه وسلم حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة)متفق عليه . فَبَيْنَ الصيام والصدقة والجود تلازم عجيب ! إذْ أن الصوم يتسامى بصاحبه عن رهق الحياة ، وثقلة المادة ، ويشعر صاحبه بما يلقى الجوعى والظَّمْأى من عنت ، فتخف النفس لتحقيق المواساة ، فتسح اليد بالبذل والإنفاق ، وتترفع عن الشح والأثرة . وقد بدا ذلك جلياً في حياة السلف ، فقد جاء سائل إلى الإمام أحمد ، رحمه الله ، فدفع إليه رغيفين كان يعدهما لفطره ، ثم طوى ، وأصبح صائماً . وكان الحسن البصري ، رحمه الله ، يطعم إخوانه وهو صائم تطوعاً ، ويجلس يروحهم وهم يأكلون .

فمن كان ذا جِدَة فهذا أَوَانُ البذل ، ومن لم يكن ، فينبغي أن يكون دالاً على الخير بتوجيه الموسرين إلى أهل العوز والفاقة ، والأرامل ، واليتامى ، والمساكين ، المتعففين الذين لا يسألون الناس إلحافاً . والدال على الخير كفاعله .

خامساً : العمرة :

عن ابن عباس ، رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (عمرة في رمضان تعدل حجة)رواه أحمد وابن ماجه . و (في) للظرفية الزمانية ، فيحصل المقصود بإيقاع العمرة في أي يوم من الشهر ، فلا يلزم أن يكون في العشر الأواخر ، أو في ليلة بعينها ، أو في النهار دون الليل ، وسواءٌ كان صائماً أو مفطراً ، ما دام في رمضان . لكن يخطئ من يُهل بالعمرة قبل ثبوت الشهر ، ويجعل طوافه وسعيه وحَلْقِه بعد ثبوته ، لأن الإحرام أحد أركان العمرة ، فلا بد أن يقع في رمضان أيضاً .

سادساً : الاعتكاف :

قال تعالى : (أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾)

(البقرة:١٢٥) . وقال : (وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ)(البقرة:١٨٧) . وفي الصحيحين من حديث عائشة ، رضي الله عنها ، قالت : (كان النبي صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ، ثم اعتكف أزواجه من بعده) .

والاعتكاف : لزوم المسجد لطاعة الله تعالى ، وطلباً لليلة القدر . فينبغي أن يشتغل المعتكف بأنواع الطاعات القاصرة ؛ من صلاة ، وذكر ، ودعاء ، وقراءة قرءان ، ونحو ذلك . وألا يضيع وقته بالأحاديث مع أصحابه ، إلا ما ندر ، أو الضحك والسمر ، كما يقع من بعض المعتكفين . فهذا لون ، واعتكاف رسول الله صلى الله عليه وسلم لون .

والاعتكاف المشروع اعتكاف كامل العشر . فإن لم يتمكن من ذلك اعتكف ما تيسر . وأقل الاعتكاف ، على الصحيح ، ليلة . ويدخل معتكفه قبيل غروب الشمس ، ليلة إحدى وعشرين ، ويخرج منه ليلة العيد . ولا يخرج أثناء ذلك إلا لما لابد منه ، أو لعبادة اشترطها .

سابعاً : الفقه في الدين :

ينبغي للمؤمن أن يتفقه في الدين عموماً ، فإنه : (من يرد الله به خيراً يُفَقِّهْهُ في الدين)رواه البخاري . وأن يتفقه فيما يعرض له من العبادات والمعاملات خصوصاً . ومن ذلك أن يتعلم الصائم فقه الصيام ، من شروط الصوم ، والنية فيه ، وأحوال الناس ؛ من حيث وجود سبب الوجوب ، أو زوال المانع ، وما يفسد الصوم من المفطرات ، وما يوجب الكفارة ، وأحكام القضاء ، وما يستحب للصائم وما يكره ، وما يستحب صومه من الأيام ، وما يكره وما يحرم ، وأحكام الاعتكاف والعيدين ، وغير ذلك .

وتحصيل ذلك يكون بأمور متنوعة : بقراءة كتب العلم ، وسماع الدروس ، وسؤال أهل العلم ، ومطالعة الفتاوى . كما ينبغي للصائم أن

يستصحب تفسيراً من التفاسير المعتبرة ، يفهم فيه عن الله مراده ، ويرفع الجهل عن نفسه وعن إخوانه وأهل بيته .

ثامناً : صلة الرحم :

تتيح الأجواء الرمضانية بيئةً صالحة للتواصل بين المسلمين ، من أقارب ، وجيران ، وأصدقاء . فينبغي استغلال هذه الفرص لتقوية الصلة ، وغرس المحبة ، وتنقية العلاقات مما قد شَابَهَا من كدر أو سوء ظنٍّ ، مما ينزغه الشيطان بين المسلمين .

تاسعاً : الدعوة إلى الله :

في شهر رمضان ، لا سيما أوله ، يقبل كثير من الناس المفرطين ، على ارتياد المساجد ، ومحاولة الاستقامة ، فإن وجدوا وجوهاً هاشةً ، باشة ، كان ذلك مدعاةً لتثبيتهم على التوبة . وإن وجدوا صدوداً وإعراضاً ، وربما تعريضاً وانتقاداً ، عادوا لسيرتهم الأولى بعد بضعة أيام . فينبغي للمؤمن الموفق أن يستغل هذا الإقبال لتمسيكهم بالكتاب ، وتحبيبهم بالمساجد وأهلها . كما إن رمضان فرصة لتفقد المتخلفين عن الصلاة ، والمنحرفين عن الجادة ، ومناصحتهم ، وموعظتهم . وهو أيضاً فرصة مناسبة لنشر الوعي والعليم عن طريق الكلمات في المساجد ، وتوزيع الكتب والأشرطة النافعة .

عاشراً : التوبة :

إن من علامة قبول العمل الصالح ؛ أن يُوفَّق العبد للتوبة النصوح من جميع الذنوب . فحري بالمؤمن اللبيب الحازم أن يتبصر في خاصة نفسه ، وقت خلواته ، وصفاء نفسه ، لينظر ما هو عليه ؛ فإن وجد خيراً فليحمد الله ، وإن وجد سوى ذلك فَلْيَتُبْ إلى مولاه ، وليَعزمَ عزماً أكيداً ، لا رجعة فيه ، على الفرار إليه ، واستدراك ما فات يغفر له ما سلف .

اللهم أهل علينا شهر رمضان بالأمن والإيمان ، والسلامة والإسلام ، والتوفيق لما تحب وترضى ، وأعنّا فيه على ذكرك ، وشكرك ، وحسن عبادتك .

كتبه : د. أحمد بن عبد الرحمن القاضي
عنيزة . في ٢٦/ شعبان / ١٤٢٥هـ

المشير
مركز المشير للاستشارات التعليمية و التربوية

ترخيص وزارة التجارة والصناعة رقم ١٠١ بتاريخ ١٤٢٧/٣/٢٥ هـ

هاتف : ٠٦٣٦٥٧٣٣٢ ، ناسوخ : ٠٦٣٦٥٧٣٣١ ، عنيزة ص.ب : ٢٤٦ ، الرمز : ٥١٩١١ ، جوال : ٠٥٠٥١٣٢٤٦٨
البريد الإلكتروني : al-musheer@al-musheer.com